نقد نظرية أنماط النصوص لكثارينا رايس Katharina Reiss ومدى صلاحيتها على النص الفكري

الشيخ محمد الدبوز
معهد الترجمة لجامعة الجزائر 02
chikhmohammed.dabouz@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/16 تاريخ القبول: 2022/09/19

ملخّص

تناولت هذه الدراسة نظرية أنماط النصوص للمترجمة والناقدة كاثارينا رايس Katharina Reisبالوصف والنقد تارة للأسس الأولى والاعتبارات العامة التي مهدت للنظرية ولحيثياتها وهيكلها النظري، وبالمقارنة والتحليل مع هيكل النص الفكري وخصائصه وحيثياته تارة أخرى، وتبين لنا أوجه الاتفاق بين العديد من الاعتبارات المؤسسة لهذه النظرية وخصائص النص الفكري، كما وجدنا أن النص الفكري يتجاوز التصنيف النمطي لهذه النظرية. وكان المنهج الوصفي التحليلي المقارن منهج الدراسة في معالجة الموضوع.

الكلمات المفتاحية:

نظرية أنماط النصوص لكاثارينا رايس - ترجمة النص الفكري - الفكر - أنماط النصوص - الفعل الترجمي.

المؤلف المراسل: الشيخ محمد الدبوز، البريد الالكتروني: chikhmohammed.dabouz@univ-alger2.dz

Une critique de la théorie des types de textes de Katharina Reiss, et de son efficacité sur les textes intellectuels

Résumé

Cette étude vise, d'une part, à mettre en évidence les considérations qui ont façonné la théorie des types de texte en traduction, en étudiant sa structure théorique. Ensuite, elle s'efforce d'examiner dans quelle mesure le cadre théorique des types de texte peut être appliqué avec succès sur les mécanismes du texte intellectuel. En conséquence, cette recherche découvre qu'il existe de nombreux aspects théoriques de cette théorie qui peuvent être largement applicables aux spécificités du texte intellectuel. On trouve, également, que ce texte va au-delà de la classification des types de texte de Reiss. La méthode comparative analytique descriptive a été suivie tout au long de cette étude

Mots clés:

La théorie des types de textes de Katharina Reiss - La traduction du texte intellectuel - Le champ intellectuel "comme champ de connaissance" - L'action traductionnelle - Les types de textes.

A critic of katharina Reiss' Text Types theory, and itsaffectiveness on intellectualtexts

Abstract

This paper aims, on first hand, at shading light on the considerations that shaped the Text types Theory in Translation, studying its theoretical structure. Than secondly, it endeavors to examine the extent to which the Text Types theoretical frame can be successfully applied on the mechanisms of the intellectual text. As a result, this paper finds out that there are quiet many theoretical aspects of this theory which can be largely applicable on the specificities of the intellectual text, as it finds out also that this text goes beyond the Text Types classification of Reiss. The descriptive analytical comparative method was followed through out this study.

Keywords:

The theory of Text Types by Katharina Reiss - Translation of the intellectual text- The intellectual field 'as a scope of knowledge' - Translational action- Text Types.

مقدّمة

قدر للنظريات الترجمية الوظيفية أن تسعف المترجم الذي حمل على عاتقه دائما مهمة نقل النصوص من حضارة سامقة وثقافة مُتَشَرّبة إلى حضارة أخرى، بل وزادته تلك المهمة ثقلاً على ثقلٍ كلما ضربت الأشكال الثقافية والصبغة الفكرية جذورها في النص، فتحفى إذ ذاك مِذْراته في مثل تلك النصوص وتزداد مشقته وتتراكم. لقد أخرجته هذه النظريات من ثنائية المعنى والمبنى إلى معالم أوسع، فمكنته من سبر أبعاد النص بدءا بالكاتب المؤلف، مرورا بظروف الكتابة وأهدافها، وصولا إلى القارئ والأثر المرجو توليده لديه. فمست بذلك بعضا مما ترومه النصوص الفكرية من وضوح هدف الكتابة وسعيها الدؤوب لتوليد فعل لدى المتلقي، أثرا كان أو فعلا من بعده، من تعديل سلوك أو تقويم فكر إلى تحريك فعل وبناء حضارة.

لقد أبدعت النظريات الوظيفية في آليات الفعل الترجمي وتألقت، ورقت بالدراسات الترجمية إلى مصاف العلوم وارتقت. فمن بعد نيدا Nida لذي جذب الانتباه للقارئ بدلا من النص وحدد معيار فشل الترجمة بعدم تكافؤ فهم قارئ النص الأصلي وقارئ الترجمة، في نظريته المكافئ الديناميكي، جاءت رايس Reiss لتجعل من القارئ وفق نظرية أنماط النصوص، بعدا من أبعاد النص يتساوى في الدراسة مع الأبعاد الأخرى من ظروف الكتابة والقصد من النص وهدفه الأسمى وهو التواصل وتقديم المعلومة. واستنبطت من النظريات اللسانية مستويات النص، وجزمت بأنه لا يمكن الحديث عن نظرية للفعل الترجمي ما لم يتم الحديثُ عن نظرية للنص، وصنفت عقب ذلك النصوص وفق وظيفيتها. فعملنا على إسقاط نظرياتها وأبعادها على النص الفكري وحيثياته، وحاولنا من خلال هذه الدراسة:

1- أن نبين بعضا من التعريفات والمفاهيم الأساسية لهذه النظرية ومن ثم ننقدها وفق ميزات النص الفكري والمفكر وقارئ النص الفكري.

2-أن نبين الاعتبارات التي أسست عليها رايس Reiss لنظرية أنماط النصوص.

3- أن نوضح موضع الخلل في تطبيق نظرية أنماط النصوص على النص الفكري.

وتبرز القيمة العلمية في هذه الدراسة في معالجتها لنظرية أنماط النصوص من زاويتين:

تارة تسلط الضوء على الاعتبارات والأبعاد الأساسية للنظرية والتي يجب تحديدها بحكمة والتعامل معها برصانة.

ومرة في كونها تعالج النص الفكري والفكر والمفكر، علما أن هذا الموضوع نادرا ما تُنوول بالبحث الأكاديمي في الفكر العربي. فنحن نجد عديد الدراسات التي تناولت نظرية أنماط النصوص (بهذا اللفظ أو بلفظ أنواع النصوص، وكلاهما صحيح) نذكر منها دراسة بعنوان: الترجمة ونظرية أنواع النصوص لبن الطيب نصيرة، ودراسة أخرى بعنوان نظرية أنواع النصوص لكثارينا رايس لعبد الحق عبد العزيزي، وغيرهما الكثير، إلا أن البحث في محركات البحث أو على رفوف المكاتب، يبين خلو مجال ترجمة النص الفكري من الدراسات الأكاديمية السابقة، غير مقال نشر على موقع مؤمنون بلا حدود الإلكتروني سنة 2015، يتناول الموضوع من منطلق فلسفي تأويلي.

وكان المنهج الوصفي التحليلي المقارن هو المسار الذي انتهجته الدراسة في معالجتها لهذا الموضوع. ونشير بأننا انتهجنا في الكتابة الأسلوب النماذجي، الذي ينبني على تشكيل الصور الإدراكية، ويعمل المجاز لقدرته التعبيرية، ونلتزم بمبدأ التفسيرية في الدباجة الأكاديمية كمفهوم طوره المسيري في كتاباته، بديلا عن الموضوعية والذاتية. ونشير إلى أن الترجمات الواردة في الدراسة من وضع الباحث.

وسننطلق أولا بذكر بعض المفاهيم النظرية الأساسية لنظرية أنماط النصوص كما نحدد إحداثيات هذه النظرية في رقعة الدراسات الترجمية، والاعتبارات الأساسية المحددة لهيكلها ومن ثم نعرج على النص الفكري وأسلوبه وخصائصه ونبدأها بتحديد معالم نظرية أنماط النصوص:

1. نظرية أنماط النصوص:

إنها من بين النظريات الوظيفية الأولى في الترجمة. اهتمت رايس فيها، على غرار المنظرين الوظيفيين، بالدور الوظيفي للترجمة والمترجم. وانكبَّ التركيز على الشطر الثاني

من العملية الترجمية، بدءا بالمترجم ووظيفته التواصلية، ثم بالنص الهدف ومن بعده المتلقي في بعض النظريات الأخرى. ونجحت هذه النظرية في أن تصبغ عمل المترجم بالوظِيفِيَة البحتة ((Munda, 2003, pp 72-75، فهو لم يعد فنا ولا رسما تتقنه ريشة فنان. وعمت رغبة جامحة رافقت إرهاصات علم الترجمة، هدفت إلى تأطير عمل المترجم وفعله الترجمي وفق أنساق ونماذج يمكن تطبيق النظرية العلمية عليها فيسهل تصنيفها وترتيبها، ويسهل تتبع قرارات المترجم أو توجيهها..

انطلقت رايس Reiss من اعتبار الترجمة عملية تواصلية، واعتبرت النص هو أساس هذه العملية، لا الكلمة ولا الجملة (م، س، ص 73). وهو أساس التكافؤ والتعادل (محمد عناني، 2011، ص 115)، ولا يمكن الحديث عن أي من ذلك التكافؤ ما لم يحدث تكافؤ في المستويات الوظيفية بين النصين (م، س، ص 8)، وحري بنا قبل أن نلج النظرية أن نبين نظرتها لماهية الدراسات الترجمية والهدف منها أساسا، ثم نعرج على أسباب نشأة نظريتها وظروف ظهورها.

2. هدف رايس Reiss من الدراسات الترجمية:

ترى رايس Reiss بأن البحث الترجميَ كان في زمن ما يتراوح بين ثنائيات الترجمة وشرطها، وجدلية المعنى والمبنى، وغيرها من المواضيع التي تحيط بأسوار الفعل الترجمي ولا تلجه، إلا أن الدراسات الترجمية الحديثة، انتعشت ببعض من نسمات نهضة العلوم، وجعلها تلتفت إلى أبعاد أخرى كانت قد أغفلتها من قبل فبعد أن:

"Translation studies, whose object of study is, among other things, the conditions for and possibilities of translating, is primarily interested in a more general and more abstract taxonomy, which would come before the classification of genres and which would help to explain the different behaviour of translators. It is for this reason that we propose the classification of text types". (Katharina Reiss, Hans, J. Vermeer. 2014, p 21)

"بعد أن شكلت إمكانات الترجمة وشروطها، من بين أمور أخرى، موضوعا للدراسات

الترجمية، أضحى الاهتمام منصبا على تصنيف شامل عام يسبق التصنيف وفق الأجناس، ليساعد في فهم السلوكات المختلفة للمترجمين. وكان هذا هو الدافع لأن نقترح تصنيفا لأنماط النصوص".

ويُجمع الدارسون على تأثر دارسي الترجمة بشكل كبير بعدد من الرؤى الفلسفية حول مسألة اللغة والمعنى وعلاقة الدال بالمدلول مثل العلوم جميعا، وهو الأمر الذي حرر الدراسات الترجمية من الثنائيات الكلاسيكية التي ذكرتها رايس Reiss سالفا. واتسمت معظم هذه الرؤى –منذ سنة 1960 تقريبا- بالصيغة البراغماتية ومنها النظريات الوظيفية التي تنتمي إليها رايس Reiss، فهي تركز على مسائل استخدام وظائف اللغة من خلال السياق والاستعمال. ونجد بأن النظريات البراغماتية بلا استثناء تسلم بوجود قاعدة دلالية أساسية، تتضح فيها العلاقة بين اللغة والعالم من حيث مفاهيم مثل الحقيقة والمرجعية وغيرها، ويتم توظيف نموذج الترجمة في هذا المسار، ورايس Reiss، كما أشرنا، تعتبر الترجمة عملية تواصلية، وفي ذلك إشارة إلى خلفيتها الفلسفية -الواعية أو الغير الواعية-. ويكمن الإشكال في هذه المسلمات الفلسفية جميعها في أن الخلل الذي ينشأ عنها يتسبب في خلل مثله في الأساس نفسه الذي تقوم عليه هذه النظريات الترجمية. (Domenico Jervolino, 2006, p 233)

ثم إن المنهج التواصلي القاصر لدور اللغة في التواصل، يستند على الموقف الفلسفي الذي يجعل من اللغة وسيلة للتواصل فقط، وهي في الحقيقة أبعد من ذلك كل البعد، فيا ما يسعى المرء في تعبيره لتوليد فعل لدى الآخر، سلوكا كان أو تصرفا، وهو الأمر الذي تقربه رايس Reiss ليبرز إذ ذاك الجانب التفاعلي في الإنسان، فدور اللغة تفاعلي إذا أكثر ما يكون تواصلا.

ونشير هنا إلى أهمية معالجة الخلفية الفلسفية التي تشكل القاعدة الأساسية للنظريات العلمية، والبحث عن تحيزاتها الفكرية(Edward Said, 1976, 1994)، فلا تسلم النظريات العلمية، مهما كان نوعها، من النماذج الفلسفية ولا من نظرتها الكونية، فهي تؤثر في شكلها أيما تأثير. وبعد تبيان موقفها من الدراسات الترجمية نعرج الآن إلى

أسباب نشأة النظرية.

3. أسباب نشأة نظرية أنماط النصوص:

تقول رايس Reissفي مقدمة كتابها المشترك مع هانس فيرميرHans, J. Vermeer ، المنظروالدارس الترجمي، الموسوم بعنوان: نحونظرية عامة للفعل الترجمي، بأن الموضوع الأساسي للدراسات الترجمية، الذي يسبق ظروف الترجمة وشروط تحقيقها، هو دراسة سلوكات المترجم وممارساته وتحديدها وتنميطها وتنسيقها وفقا لتلك الظروف، حتى يتمكن من استيفاء تلك الشروط الكفيلة بنجاح الفعل الترجمي. وبما أن المترجم يبني استراتيجياته وفقا لنوع النص ولنمطه، دعت الحاجة إلى اقتراح تنميط للنصوص، يحدد أشكالها ويوضح أنواعها، ومن ثم يسطر آليات ترجمة كل نمط على حدة. (Katha-rina Reiss, Hans, J. Vermeer. 2014, p 181)

ونظرا للتنوع الواسع للنصوص في مجال الترجمة الوظيفية، من نص قانوني وإشهاري، إعلامي وعلمي، وغيرها، كان من المجدي تتبع خطى اللسانيات النصية في إقامة نظام من الأنماط، يمكن أن يصنف النصوص بمختلف أنواعها وعلى اختلاف أشكالها. وحري به أيضا أن يسلط الضوء على سلوكات المترجمين المهنيين وعلى قراراتهم الترجمية التي يمارسونها بعفوية تامة بناء على نمط النص، كما يمكنه أن يفسرويدعم هذا التنوع في السلوك. (م، س، ص 180)

4. الجانب الوظيفي في نظرية أنواع النصوص:

وبما أن النظرية مستلهمة من نظريات اللسانية النصية، فقد كان التحديد لهذه الأنماط النصية وفق الوظائف اللغوية التي تمارسها، وكانت وظيفة النص هي التي تحدد هيكله العظمي ولون بشرته وشعره؛ لذا لجأت رايس Reiss إلى ستاينيتز Steinitz لتقترض منه تعريفه للوظيفة، حيث يقول في هذا:

"(Function is) the role of being operative or effective in a particular way (within a system)" (م س، ص 180)

"معنى الوظيفة، هو ذلك الدور العملي الفعال الذي يأخذ شكلا ما، ويندرج في نظام

معين"

وقالت بأن النص يأخذ شكله من خلال وظيفته:

"The status of a particular text within a culture largely depends on the function its author or authors wish (ed) to be assigned to it on the basis of the specific text configuration features. Due to the intention (understood as purpose, aim or motivation for verbal communication) verbalized by an author in his text as an information offer, this text (as an information offer) is assigned a general communicative function which, in turn, determines its status within a culture community". (م س، ص 119)

"يعتمد وضع النص وحالته في ثقافة ما بصفة كبيرة على الوظيفة التي أرادها له الكاتب وفقا لخصائصه، وتأخذ نية الكاتب شكلها في النص في تقديمه للمعلومات (والتي تأخذ مأخذ القصد أو الهدف أو المحفز لهذا العمل التواصلي)، فيكون للنص بذلك وظيفة تواصلية عامة، والتي تحدد بالمقابل وضعه في ثقافة المجتمع".

وبذلك فإن للنص وظيفة تواصلية عامة ووظيفة خاصة يريدها الكاتب من بناءه لنصه، وتُحَدَدُ نية الكاتب هذه من ثنايا النص ومن خلال المعلومات التي يوردها فيه، وهو يستثمر كل خصائص النص ويستنزف كل آلياته التعبيرية ويفجر قدراته التواصلية حتى يتمكن النص من أداء وظيفته المنوطة به، ويفرض لنفسه موقعا في الثقافة التي يعيش بين أحضانها. وهو الأمر الذي يقوم به المفكر، فهو يستجدي بكل الأنماط الأدبية ويعمل آلياتها التعبيرية جميعا ويستحث قدراتها التواصلية ليحقق الهدف من نصه الفكري وهو إحداث الأثر وتوليد الفعل الحضاري. لذا فمفهوم الوظيفية في نظرية أنماط النصوص يخدم طبيعة النص الفكري ويحقق ماهيته في مستواه العام.

ولا يمكننا أن نواصل الحديث عن معالم هذه النظرية قبل أن نُذَكِّر بأن النظريات الوظيفية في البحث الترجمي كانت وليدة مراكز تدريب الترجمة، وجامعات تكوين المترجمين، فكانت النزعة الوظيفية، وتلبية احتياج سوق العمل ومواكبة التطور

التكنولوجي روافد برامج التكوين. واستلزم التدريب –الذي لم يكن يركز على التكوين وفق مجالات التخصص بقدر ما ركز على العملية التقنية للترجمة- تصنيفا للترجمات وفق مجالات العمل، ليسهل إذ ذاك تسطير برامج تدريب مُخرجة لمترجمين وظيفيين يمكنهم سريعا اقتناص مناصب شغل، ويستجيبون جميعا لطلبات العملاء، فخدمت التكوينات الوظيفية السطحية بذلك العلوم التقنية، وجارت على العلوم الإنسانية الأدبية، التي تتميز بأبعاد إنسانية وأطياف دقيقة لا يدرك كنهها المترجم الغرير ما لم يكن بذلك الصنف ملمّا.

وإذا كان هذا الجانبَ الوظيفيَ لنظرية أنماط النصوص، فما هو الهدف من هذه النظرية؟

5. الهدف من نظرية أنماط النصوص:

تقول رايس Reiss:

".. elaborate a classification system for the textual 'cosmos'. Such a classification system could shed light on the behavior of professional translators, which varies intuitively depending on the texts, and could also provide a theoretical explanation and support for such variations in behavior".

"تهدف هذه النظرية إلى إرساء نظام تصنيف يسطر "عالم" النصوص ويسبر سلوكيات محترف الترجمة. فوفق أشكال النصوص تتحول هذه السلوكيات بديهيا وتأخذ صبغة معينة. وتسعى هذه النظرية إلى تدعيمها وتتناول تغيراتها بالشرح والتفسير النظري.."

نرى بأن هذا الهدف يخدم مباشرة برامج تكوين المترجمين؛ فمن وجهة نظر التعليمية تعد هذه النظرية من أكثر النظريات فعالية لأن المبادئ التي تقوم عليها أكثر انتظاما من النظريات الأخرى، إذ تنتقي النمط وتتعامل معه وفق أبعاد معينة، وبعد فهم تركيبة النص ولبنات بنائه وخارطته المعنوية، نجدها تساعد المبتدأ في الترجمة على التدرب في طرق حل الصعوبات وفق نمط النص.. (بن الطيب نصيرة، 2015، ص 64)

"It is therefore important to gain some insight into the status enjoyed by a particular text in the source language before deciding about the status this text is intended to take in the target language".

(م، س، ص 182)

ولأن "تحدد موضع نص ما وحالته في اللغة المصدر لأمر مهم جدا، وذلك قبل التفكير والجزم في أمر النص وحلته التي سيخرج بها في اللغة الهدف.."

1. 5. مفهوم رايس Reiss للترجمة والتكافؤ:

يلتزم أنصار هذه النظرية بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"

تقول هولمس منثاري:

'..In this view, translation is often regarded as a kind of manipulation, (see Reiss and Vermeer's 1984 Skops theory which embodies a general licence for manipulation given its maxim of ' the end justifies the means')'

(م، س، ص 86)

"وبهذا المعنى، فإن الترجمة غالبا ما ترى على أنها نوع من التصرف (ينظر في نظرية الهدف لرايس Reissوفيرمي 1984 Vermeer، والتي تقدم تصريحا تاما للتصرف بدعوى "الغاية تبرر الوسيلة")

ولكنها رفضت بأن تسعى الترجمة لأن تكون نسخة مكافئة للنص الأصلي:

'On the other hand, Reiss and Vermeer (1984) rejected the concept of translation as aiming at being an equivalence version, while Hermans descriptedit as a 'troubled notion' (1995: 217)'

(Gladys Gonzalez Matthew, 2003, p 35).

"ومن جهة أخرى، فقد رفض كل من رايس Reiss وفيرمير Vermeer (1984) المفهوم الذي يجعل من هدف الترجمة الوصول إلى نسخة مكافئة للنص الأصلي، بيد أن هيرمنس Hermans وصف فكرة التكافؤ ‹بالمفهوم المضطرب (1995 ، ص 217)"

ونجد بأن مفهوم رايس Reiss في التكافؤ قد يضروجوديا بالعلاقة الوطيدة بين المفكر ونصه، فأنصارهذه النظرية ونظرية الهدف من بعدها يضعون جام تركيزهم على القارئ وتوقعاته من الترجمة، فهو الزبون الملك، وبذا لابد من تحرير الترجمة من قيد مفهوم المكافئ الذي يربط النص الهدف بالأصل ومؤلفه، بل إن توقعات الزبون أو القارئ والوظيفة التي سيقوم بها النص بعد الترجمة هي التي تحدد الحلة التي يخرج بها، ونحن نجد بأن النص الفكري، مثلما سيأتي، متصل بمؤلفه في بعدين: فهو مرة يشكل جزءا لا يتجزأ من النسق الكلي لفكر المفكر أي أن له جذورا موضوعية (من الموضوع sujet) ومنهجية في سياق الزمن والمكان فهو قطعة من نموذج كلي، وهو يتسم تارة بسمات المفكر ويحمل جيناته الفكرية ويصطبغ بصبغته الفريدة التي تفرقه عن النصوص الفكرية الأخرى من حيث الأسلوب والوسيلة والمنهج.

(Edward Said, 1994, p13)

6. الأنماط التواصلية لنظرية أنماط النصوص:

ورأت بأن الكاتب يختار إحدى ثلاثة من الأنماط التواصلية الأساسية وأنها مشتركة بين جميع الثقافات، وهو الأمر الذي يجعل من أنماط النصوص ظاهرة عالمية.... ويكون نمط النص إعلاميا إخباريا إن كان الكاتب يرمي إلى نقل معلومات أو محتوى إعلامي وفق وظيفة اللغة الإخبارية، وقد يخرج هذا النص في نشرة إخبارية أو علمية أو ثقافية وغيرها. ويكون نمط النص تعبيريا إن أراد الكاتب التعبير عما يخالجه في قالب جمالي طلي معملا أقلام الخيال البديع، وأساليب الأدب الرفيع ، كي يخلق الجمال ويستثير اللذة ويحقق المتعة، ويرسم صورا بهية بألوان زهية، فيكون نصه في قالب شعري أو نثري أو غيرها من الأنماط التعبيرية الأدبية.. وإذا أراد الكاتب من نصه الإقناع والمحاجّة البرهانية في تقديمه للمعلومة، عملا منه على إقناع القارئ للقيام بعمل ما، فسيكون نمط نصه حواريا حجاجيا.(Katharina Reiss, Hans, J. Vermeer. 2014, p 182) فتكون في مجملها كالتالي:

1. التوسيط البسيط للحقائق: مثل المعلومات والمعارف، ونمط هذا النوع من النصوص إخباري، حيث يكون المضمون هو بؤرة التركيز الأولي في التوصيل وله

بعد منطقي وإحالي.

2. التأليف الإبداعي: ويستعمل المؤلف فيه البعد الجمالي للغة، ويحتل المؤلف فيه المحور، ونمط النص تعبيري.
3. طلب الاستجابة السلوكية: وشكل النص حواري ينصب على الدعوة، وهو النص الداعي للعمل، ويعتمد على الإقناع.
4. النصوص السمعية الوسائطية: مثل الأفلام والإعلانات، وهي التي تضيف إلى الأنماط الأولى الصور البصرية والموسيقى. (بن الطيب نصيرة، 2015، ص 55)

ويبدو من الوهلة الأولى بأن النص الفكري مصنف وفق النمط الثالث بادئ الأمر، فهو الذي يستحث الاستجابة السلوكية وينبني على الإقناع والمحاجة. إلا أن صبغة النص الفكري وطبيعته وهيكله وماهيته في اللغة العربية، تجعله يتجاوز حدود هذه التصنيفات بكثير؛ فقد يكون النص الفكري خبريا سرديا لحادثة تاريخية يستدعي استجابة سلوكية، ويعمل أساسا كل الوسائل التعبيرية الجمالية الإبداعية لإحداث حالة نفسية تولد فعلا أو سلوكا حضاريا بعد أن يلامس شغاف قلب القارئ، وقد يستلزم الأمر أيضا أن يبسط له حقائق علمية ليخاطب عقله، كما يمكن للمفكر أن يخرج نصه في قالب سمعي وسائطي، فيخرج في عمل مسرحي أو محاضرة شعبية، أو غيرها من الأشكال التفاعلية المباشرة، ونضرب لذلك مثلا مسرحية **هذه الليلة الطويلة** للمفكر صدقي الدجاني لما للمسرح من مكانة خاصة بين فنون الأدب في التربية الشعبية (بسمة الدجاني، 2011، ص 1563)، ورواية **اليربوع الأزرق** للمفكر محمد باباعمي، فللرواية قدرة عجيبة في دمج القارئ بالنص وبعث القيم المجتمعية، وكتاب النور الخالد لمحمد فتح الله غولن الذي يعمل الوسائل التاريخية والأدبية والمنطقية لرسم صورة حية لمحمد رسولنا الكريم، ولم يكن كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي بالنص الديني التفسيري (مالك بن نبي، 1961، ص 39)، فالنص الفكري في هذه النصوص جميعا يبسط الحقائق بتأليف إبداعي، لتحقيق استجابة سلوكية.

ويصر المفكر إدوارد سعيد على أن البحث الأكاديمي المتخصص البحت يفصل المفكر

عن الحياة العامة ويجعله لا يتعامل مع الواقع:

(Saree Makdisi, 2007, p 24)

'..but also that academic professional swho insist on their own hyper-specialisation end up folding in on themselves, confining themeselves and theirwork to an inceasingly with rawn and remote constituency of fellow expert, and abandoning the wider world of whatthey regard as brute politics to others'.

"ولكن أولئك الأكاديميين المختصين أيضا، الذين يوغلون في التركيز على تخصصهم الرفيع المُتَرفِّع جدا، ينتهي بهم المطاف بعزل أنفسهم في قوقعة مغلَّقة الأقفال، بل وتجدهم يدفنون أنفسهم وأعمالهم مع مرور الزمن فلا يصل إليها إلا النزر القليل ممن هم على شاكلتهم من الخبراء، فُيُفَرطوا إذ ذاك في فساحة العالم الشاسع، أو ما قد يعتبرونه أنفسهم ممارسات سياسية محضة لها أناسها". (الدبوز الشيخ محمد، مترجم)

ونجد بأن التأليف الإبداعي هي سمة فريدة في أسلوب المفكر. ونجد سعيدا، حين حديثه عن التأليف الإبداعي، يقول في أسلوب جون بول سارتر Jean Paul Sartre، وبرترون راسلBertrand Russell وغيرهم ما يأتي: (Edward Said, 1993, p 13)

'When I read Jean-Paul Sartre or Bertrand Russell, it is their specific, individual voice and presence that makes an impression on me over and and above their arguments because they are speaking out for theirbeliefs…'

"إنني لما أقرأ لجون بول سارترJean-Paul Sartre أو برترون راسل Bertrand Russell فلكأنني أسمع صوتهم الشخصي يرن في أذني، ولكأنني أجد حضورهم أمام عيني، إنه لأمر مبهر دائمًا، ولا يزيد ذلك لمستوى حجاجهم الرفيع إلا قوة وصلابة، فهم يتحدثون عن قناعاتهم ويعبرون عما يؤمنون به.» (الدبوز الشيخ محمد، مترجم)

ولن يتمكن المفكر من نسج صوره الإدراكية ونماذجه المعرفية في تأليف إبداعي بديع إلا بإعمال العقل وشحذ الفكر والتأمل والتحليل والاستنباط والتدقيق وغيرها من

الآليات المنطقية العقلية التي تجعل عمله منضبطا مُمَنهجًا، ويصبغ كل ذلك بصبغة أدبية ولمسة فنية. وتنبع رسالة المفكر من الوجدان محاطة بمشاعر قلق وتوتر صادق، يصوغها اللسان بدقة وإمعان، لتستقر في قلب القارئ إن هي لامست شغاف قلبه، وراودت عقله. إذا: التأليف الإبداعي في النص الفكري ناجم عن المشاعر الحساسة والأوتار الشعورية الدقيقة والقدرة الفذة على التعبير عن هذه المشاعر من أجل التأثير وتوليد استجابة سلوكية حضارية، لا لذة فانية أو متعة عقيمة.

ويسعى المفكر إلى نشر العدل ومناهضة الظلم والوقوف إلى جانب المظلومين وتمثيل المضطهدين، ونشر القيم الإنسانية ومحاربة مظاهر الاستبداد، ويرجو من كل ذلك استجابات سلوكية فعلية حضارية، يدفع المفكر لأجلها الغالي والنفيس: (Michel Faucoult, 1976, p 109)

'Pendant longtemps, l'intellectuel dit 'de gauche' a pris la parole et s'est vu reconnaitre le droit de parler en tant que maitre de vérité et de justice'.

"لقد أخذ المفكر ‹اليساريُّ› لزمن طويل على عاتقه مسؤولية قول الحق، وناضل من أجل حقه في الجهر بالقول بصفته سيد الحقيقة ورجل العدالة". (الدبوز الشيخ محمد، مترجم).

ولا يعتمد طلب الاستجابة السلوكية كما رأينا على الإقناع العقلي فحسب كما تحدده رايس Reiss، بل يُعمل المفكر قدرته الفذة وجهده الجهيد ليلامس القلب أيضا، ويستحث الضمير الإنساني ويخاطبه، ليضمن بذلك توليد الفعل. فالنص الفكري إذا، نص إنساني متشابك، لأنه يعالج الظاهرة الإنسانية في تعقيدها ولا يفككها، وهو يبتغي الصورة الكلية (Edward Said, 1994, p 57). ونجده يتجاوز التفكيك النمطي الذي اقترحته رايس Reiss، ويجمع بينهم جميعا باعتبار النمطين الأولين ‹‹تبسيط الحقائق والتأليف الإبداعي›› وسيلتين لتحقيق النمط الثالث وهو تحقيق الاستجابة السلوكية. ولنا أن نسأل الآن عن أسلوب النص الفكري، وما هي محدداته؟

1.6. أسلوب النص الفكري:

إن أسلوب النص الفكري من شخصية المفكر الذي نسجه، فأسلوبه يعكس قوة شخصيته ومرونته النفسية ومتانة ملكاته العقلية. ولقد أضحى المفكر في هذا العهد اللاشخصي impersonalage وزمن الأدوار الاجتماعية المبهمة، منارة للإنسانية ومرجعا للإنسان، وذلك لأصالته وكاريزميته الفريدة (Saree Makdisi, 2007, p 27). وكان عليه ليمثل الحق ويرمز للحقيقة ويسعى إلى تحقيق العدل وتوليد الفعل الحضاري أن يمسك بناصية اللغة ويتقن الوسائل التواصلية حتى ما يلامس شغاف القلوب ويحرك العقول ويحي الضمائر. ويرى إدوارد سعيد بأن على المفكر أن يتميز عمن سواه في الأسلوب، وأن تكون له بصمة فنية أدبية تدل عليه سريعا، مثل ريشة الفنان تماما: (م، س، ص 13)

'With his or her distinctive charisma, not only can but also must claim a unique, individual style or signature, so that his or her work can be identified in precisely the same way that a sentence written by Conrad, a line drawn by Picasso or a note played by Miles Davis can be instantly and unmistakably identified with, respectively, Conorad, Picasso, Davis'.

"ويمكن للمفكر بفضل هذه الشخصية الكاريزمية المتميزة، بل قل يجب عليه أن يتميز بأسلوب شخصي وبصمة فريدة، وذلك ليدل عمله عليه مباشرة، تماما مثل ما يمكن أن تدل جملة لكونراد Conrad إليه، ولمن ستشير لوحة لبيكاسو Picasso ؟، وهو الحال لقطعة موسيقية لمايلز ديفيس Davis، فلن يحيل كل ذلك إلا إلى كونراد وبيكاسو وديفيس". (الدبوز الشيخ محمد، مترجم)

إذا فأسلوب المفكر مثل ريشة الفنان، ومثلما يلجأ هذا الأخير لكل الألوان يمزجها كيفما أمكن ليصل إلى تحكم في دقائق المشهد الذي يتصوّره في مخيلته فيفجر قدرة مشهده الإيحائية، يلجأ المفكر إلى كل الوسائل التعبيرية والأدوات اللغوية وقدراته العقلية وحسه الشعوري المرهف، وحنكته التواصلية ليشكل حبكة أسلوبه، فيعكس تفرد شخصيته، وما ذاك التفرد بغايته ولا الشعور بالاختلاف هو مضنته، إنما الهدف المرجو من كل ذلك

ومن تنويع الوسائل التي يداول بها فكره، هو أن يحدث تغييرا إيجابيا ويدع أثرا طيبا لدى قارئه يكون سببا في توليد الفعل الحضاري لديه، أو يحفز القيم الإنسانية التي توصله إلى ذلك الأمر.

ويضيف جايمسن Jameson أيضا بأن على أسلوب المفكر أن يكون واضحًا صريحًا ولا تزيده الوسائل الجمالية التصورية إلا وضوحًا وتعبيرًا، وأن يعمل على أن يصل بفكره إلى جميع القراء دون استثناء، ويتلافى الأسلوب المتخصص الفج اليابس، وأن يُعمل الصورة الإدراكية ما أمكن إلى ذلك سبيلاً: (م، س، ص 31)

'It would, however, hardlybe an original observation to point out that in ourownpostmodernage, not only has style become inseparable from image but also the production and circulation of images relies almost entirely on the separability of image for munderlying political or cultural positions or associations..'

‹إنه ليس بالأمر المستجد القول بأن الأسلوب أضحى رديف الصورة في عهدنا ما بعد -العصري. بل إن تشكيل الصورة وتداولها أصبح يعتمد أساسا على انفصال الصورة عن واقعها الثقافي أو السياسي أو حتى دلالاتها الأولى›. (الدبوز الشيخ محمد، مترجم)

إذ ليس هنالك نموذج فكري خارج صوره الإدراكية التي تشكله، وعلى المفكر أن يحول قلمه إلى عدسة فوتوغرافية يقدم بها حبكة المجتمع المعقدة ومن خلالها، إلا أن جايسمن Jamesonيشير هنا إلى أن استعمال الصورة أضحى يشكل خطرا على المجتمع، لما للإعلام اليوم من قدرة على تفريغ الصور من دلالاتها شيئا فشيئا، ويضرب لذلك مثلا صورة المناضل شيغفارا التي أفرغت من دلالاتها النضالية المناهضة لصور الإمبريالية والظلم والجور، وأصبحت صورته على الألبسة تشير إلى الموضة أو في أحسن الأحوال إلى التمرد على القيم الاجتماعية والحضارية التي يبنيها الفكر، بعد أن كان نضال الرجل من أجل تحقيق قيمة العدل وبناء الحضارة. (م، س، ص 31)

لقد حددت رايس اعتبارات ست بمثابة الإحداثيات التي تحدد معالم نظرية أنواع

النصوص، وإذا أضفنا إليها شيئا من الغائية الوظيفية التي يريدها الكاتب من نصه، والقصدية التي تبرر للكاتب استنزاف كل آليات النص الدلالية قبل التعبيرية، ليفجر بذلك قدراته التواصلية، فيأخذ النص شكله وصبغته وجنسه.. فيحدد المُؤَلِّف والمُؤَلَّفُ بعد كل ذلك كله موقعهما من الخارطة الثقافية للمجتمع.. نجد بأن إحداثيات نظرية أنواع النصوص وخطوط طولها وعرضها، تتشارك سطحيا كما رأينا وتتقاطع في بعض من المسارات والدلالات والمفاهيم مع إحداثيات النص الفكري ومساراته ودلالاته ومقاصديته، ونورد هذه الاعتبارات كالآتي:

الاعتبار الأول: بين النص والفعل والقصد والتواصل.

تحدثت رايس Reiss في الاعتبار الأول عن النص وعلاقته بالفعل والقصد لتحقيق التواصل، فرأت بأن النص لا يمكن أن يبصر النور ما لم تسبقه نية قاصدة أو هدف يرافق تشكله في رحم العقل ويستبشر به حال الولادة، فالقصد سابق للنص. والفعل المولد للنص لا يتشكل إلا بتوطد علاقة بين فرد وفرد آخر، أو فرد وجماعة، أو بينهم جميعا.. فالعلاقة واجب قيامها لحدوث النص، والغاية من كل ذلك وبعد ذلك هو تحقيق التواصل:

"Such a text is produced with a more or lesss pecific purpose in mind. It is an ‘action’ carried out in relation to another person (or other persons) in order to achieve a purpose. By means of such an action we want to make contact (or ‘interact), exchanging ideas, etc., with some other person or persons. If the interaction is primarily verbal, we speak of ‘communication’". (Katharina Reiss, Hans, J. Vermeer.2014, p 17)

"خاصا كان أو عاما، لهدف ما حتما أبصر هذا النص نور الوجود. ولعلاقة ما بين فرد وفرد آخر (كان أو جماعة) حدث هذا" "الفعل" لبلوغ هدف مروم. إننا نسعى بفضل هذا الفعل إلى تحقيق التواصل و(التفاعل)، ومطارحة الأفكار، وغيرها من الأفعال مع الفرد أو الجماعة. وإذا ما كان التفاعل لفظيا أساسا فنحن بصدد الحديث عن "التواصل".

إننا نجد أولا أن النص الفكري مثل كل النصوص، تسبقه نية قاصدة تتقدم فعل الكتابة لتحقيق فعل التواصل. إلا أن النص الفكري قد يختلف عن النصوص الأخرى، علمية كانت أو أدبية، في كونه جزءا من هيكل كلي يشكل جسد النموذج الفكري للمفكر، وموقعه من الخريطة الفكرية الكلية واضح، ونية كتابة هذا النص هي جزء من النية الكلية للنموذج، وهدفه استمرارللهدف الكلي بل وتحقيق له، ووظيفته استمرارللوظيفة الكلية لنموذج المفكر، ولا يعدو هذا النص أن يكون جنديا في كتيبة المفكر، قد يقلده المفكر الرتبة التي يريد ويوكله المهمة التي يشاء، إلا أن هدفه نهاية هو جزء من هدف الكتيبة ككل، وحينما يتشارك الكل ويحقق الكل وظيفته، تتحقق الوظيفة الكلية للنموذج.

وثانيا، هنالك قصد ونية من كتابة النص الفكري طبعا مثلما أسلفنا، إلا أن هذا القصد لا يقتصر على تحقيق التواصل الشكلي فقط بل يأمل من خلال هذه العلاقة التي تجمع بين كيانين، فردا كان أو جماعة، أن يحدث تحورا وتغيرا في الفعل أو السلوك، تقويما أو تعديلا، تحسينا أو تعليما، إذا فغايته تتجاوز حدود تقديم المعلومة إلى توليد الفعل. ونضرب لذلك مثلا، ما عرف بقضية الجاسوس دريفوس Dreyfus في نهاية القرن التاسع عشر في فرنسا، والتي تحولت على حسب النقاد إلى فضيحة شعبية، بعد أن نشر إميل زولا Emile Zola في 23 من جانفي 1898 رسالة وجهها إلى رئيس الجمهورية، في وجه مقال بعنوان 'J'accuse' نشر في مجلة L'Aurore، قصد المفكر أن يوضح فيها أحداث القضية ووجه الظلم والجور فيها، فتفجرت هذه الأخيرة وأخذت بعدا دوليا، واستعمل من بعده كليمنسو Clemenceau لفظ المفكرين les intellectuelsفي دعوة لهؤلاء لدعم القضية والوقوف في وجه الظلم القضائي والاستبداد العسكري. إذا فالقصد السابق لفعل الكتابة في النص الفكري يجعله يروم بشدة توليد الفعل وتغيير السلوكات، فيا ما أحدثت هذه النصوص من رجة في المجتمعات، مثل نص J'accuse تماما. (Sirinelli, Jean-François, 1998, p 142)

الاعتبار الثاني: ثقافة الكاتب والمترجم والمتلقي:

ترى رايس أن عملية التواصل التي تجمع بين المؤلف والمتلقي قد جمعت بين فردين

من أبناء مجتمع حاضن، وتاريخ متجذر، وثقافة متشربة، وتمايز في الصفات الشخصية، وبين كل ذلك فإحداثيات الزمان والمكان لعملية التواصل مختلفة بين الفردين، لذا، سيؤثر ذلك حتما على عملية توليد النص وتلقيه.

" Both the porducer and the recipient of a text are "communication partners" and, as such, form part of the "situation". Apart from being embedded in a socio-cultural community, both are individuals with personal 'histories'. These individual features, in addition to the uniqueness of the time and place of the communicative event, affect the production and reception of the text as well.

The 'situation' consists of the following factors: the cultural background, the specific environment in which the interaction takes place, the psychological and social circumstances of the communication partners and the relationship existing between them. One element of culture islanguage. The factors of this model of communication (whichdoes not claim to be exhaustive) are characterized by idividual and supra-individual (i.e. social) features.." (Katharina Reiss, Hans, J. Vermeer. 2014, p 17)

"تتشكل ‹العملية التواصلية› من طرفين هما مؤلف النص ومتلقيه، وهما بالتبع أطراف ‹للموقف›. لقد تشرب كلا الفردين ثقافة مجتمع ما، عبر جذور تاريخية ضاربة. وإلى جانب هذه السمات الشخصية لكليهما فهنالك تفرد زماني ومكاني يؤثر حتما على عملية تأليف النص وتلقيه.

ويتشكل ‹الموقف› من العوامل التالية: المنبت الثقافي والبيئة المتميزة التي حدثت فيها عملية التواصل، بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية والنفسية لطرفي العملية التواصلية والعلاقة التي تربطهما. فما اللغة إلا عنصر من عناصر الثقافة. وتتحدد عوامل هذا النموذج من العملية التواصلية (والتي لا تدعي الكمال) بالميزات الفردية وحول -الفردية

(أي المجتمعية)..."

ورغم لغة المترجم محمد أبو ديب الجزلة، وتمكنه اللغوي المحكم ، فهو ناقد قبل أن يكون مترجما، جاءت ترجمته لكتاب الاستشراق للمفكر إدوارد سعيد سنة 1981م خارجة عن السياق اللغوي والثقافي للقارئ العربي المعاصر بإجماع النقاد، فلقد كانت عصية على فهمه ولم تخاطب عقله ولا قلبه. ولقد استبشر إدوارد سعيد بالترجمة بادئ الأمر ثم تراجع عن ذلك، لِما وصله من نقد النقاد لهذه الترجمة، ومن امتعاض القراء العرب من صعوبتها. (حمزة المزيني، 2016). وحينما نقرأ تقديم المترجم محمد يوسف عدس لكتاب الإسلام بين الشرق والغرب للرئيس البوسني المفكر علي عزت بيغوفتش، نجد بأن المترجم قد مسه لفح من ألم المفكر فأن لأنينه، وتقلد قلمه.. وأشار عبد الوهاب المسيري لذلك في تقديمه للطبعة الجديدة من مؤسسة الشروق قائلا: ‹وقد قام الأستاذ محمد يوسف عدس بترجمة أهم كتبه (يعني علي عزت) "الإسلام بين الشرق والغرب" إلى العربية بلغة فصيحة، وخطاب فلسفي مركب، فجاءت عملًا فلسفيًا راقيًا يتسم بالدقة والجمال. (علي عزت بيغوفتش، 2015، ص 09)

إن العناصر الثقافية إذا والسمات الشخصية أساسية في تحديد شكل النص ووسائله، معناه وحمولته الدلالية، وهو ما يبدو جليا في النص الفكري، بل وما يميزه أيضا، فاعتبارا بلغته السلسة اليسيرة المرنة، النابضة بالحياة، يبني المفكر نصه وفق نسيج ثقافي معين ويصبغه بصبغة الزمان والمكان، ويؤتيه موضعا في مسار التاريخ بين تراكم الماضي وتموضع الحاضر واستشراف المستقبل، وعلى المترجم أن يتلمس كل هذه العناصر من خلال نموذج المفكر ومنظاره، حتى يتمكن من توليد نص في اللغة الهدف يحمل جينات نموذج المفكر نفسها.

الاعتبار الثالث: مستويات النص اللسانية:

"According to the traditions of some linguistic schools, verbal communication may be described as a complex process involving various

deep structures beneauth a single surface structure. The deepest structure wouldbe culture and it determines wether some thing is said or written at all, what is mentioned and how it is said or written. Other deep structures refers to how an utterance is planned, structured and formulated. (…) the conditions are both social and individual. The actual tex twill then be manifested in the surface structure".

(م، س، ص 17)

"يمكن وصف التواصل اللفظي وفق مذهب بعض المدارس اللسانية بالعملية المركبة التي تمس عديد المستويات العميقة أسفل تركيب سطحي أوحد. وتشكل الثقافة المستوى الأعمق، فهي تحدد ما إذا تم الحديث عن شيء أو تمت كتابته بالأساس، ما تم قوله، وكيف تم التصريح به أو تمت كتابته.

وتحدد المستويات العميقة الأخرى كيف تم التخطيط لقول شيء ما، وكيف تم تركيبه وكيف تمت صياغته. (...) فظروف الخلق والنشأة هي ظروف نفسية شخصية واجتماعية. وسيتجلى النص الذي بين أيدينا في المستوى السطحي إذا".

ومثل الاعتبارات السابقة، فوسائل تحليل النموذج الكلي للمفكر قد تساعد كثيرا في فك شيفرة النصوص التي تدخل في إطاره، فهي تحمل كما أسلفنا جيناته نفسها. وتتجلى مستوياته الثقافية الدنيا، وتحيزاته الكامنة كلها للمترجم ما أن يفك الشفرة الكلية لنموذج المفكر ويُلفَحَ بلهيب قلقه المعرفي، فتسهل عليه عملية التفكيك والبناء. ولن يؤتى ذلك إلا بالبحث التوثيقي العميق في كتب المفكر وفي الدراسات التي تناولت الكتاب، والاتصال بالمفكر إن أمكن، والبحث والتدقيق حتى يتمكن منه. ويخبرنا المترجم محمد عناني في تصديره لكتاب الاستشراق الذي أعاد ترجمته، عن رحلته مع الترجمة، فهو لم يكتف بالكتاب الذي بين يديه لأنه لا يبتغي التركيب السطحي الوحيد، بل اطلع على العشرات من الدراسات بين بحوث جامعية أكاديمية وكتب نقدية وطلب المدد من أساتذة وباحثين حتى يتمكن من الولوج إلى المستويات النصية العميقة الدفينة: «... وقد أمدتني الباحثة وفية حمودة، من جامعة طنطا، بعدد هائل من هذه وتلك، عكفت عليها

في الشهور الأخيرة أقرؤها وأحاول استيعابها قبل الترجمة وأثناءها وبعدها، ويكفي أن أذكر أن ملخصاتها وحدها تملأ مجلدا كاملا..» (إدوارد سعيد: 2006، ص 10)

الاعتبار الرابع: لا يمكن الحديث عن نظرية لفعل الترجمة ما لم يتم الحديث عن نظرية للنص.

"Translation action always involves a previously produced source text and the production of a target text for another culture. A theory of text production is therefore a prerequisite for the development of atheory of translational action. "(م، س، ص 17)

"يسبق فعل الترجمة نص سابق في لغة المصدرونية لإنتاج نص في اللغة الهدف في ثقافة مغايرة. لذا فأي تطور لنظرية الفعل الترجمي يجب أن تسبقه حتما نظرية للنص وكتابته".

وهذه إشارة على جرأة الدراسات الترجمية في مد يدها إلى العلوم الأخرى أخذا وعطاء، تنهل منها ما تشاء، وفق ما تقتضيه الظاهرة اللغوية التي تتعامل معها، ونشير هنا أيضا إلى تميز حقل لسانيات النص Linguistique Textuelle الذي حاول الانتقال بالدرس اللساني من تحليل الجملة والكلمة إلى تحليل النص والخطاب محاولا بذلك تجاوز قصور وحدود اللسانيات البنيوية، وهذا الاتجاه في التحليل يقوم على الاهتمام بالعناصر النصية، وأهمها: خاصية الترابط والانسجام والتداول والاتساق والنصية وغيرها، وهو ما استفادت منه النظريات الترجمية أيما استفادة. (هايل الطالب: 2017)

الاعتبار الخامس: نظرية التلقي أساسية لنظرية الفعل الترجمي:

" Text production should be examined along the samelines as text reception, including both the translator'sreception of the source text and the target audience'sreception of the translatum. Like text production, text reception is determined by social and individual factors. A theory of translational action must therefor also be based on a theory of text reception and text effect. Literary studies have developed such theories in recent years".

(م، س، ص 17)

"في الحين الذي تحلل فيه عملية تلقي النص وتتناول بالدراسة، يجب أن تحلل عملية كتابة النص وتتناول بالدراسة أيضا، ويمس ذلك تلقي المترجم للنص في اللغة المصدروتلقي المتلقي للترجمة كلاهما. ومثل كتابة النص تماما، تحدد العوامل النفسية الشخصية والاجتماعية كيفية تلقي النص. لذا فلا بد أن تنبني نظرية الفعل الترجمي على نظرية لتلقي النص وأثره. لقد طورت الدراسات الأدبية مثل هذه النظريات خلال السنوات القليلة الماضية".

إنه لمن المهم جدا الحديث عن التلقي والمتلقي في هذا المستوى، بعد الحديث عن بناء النص وآلياته. وكما ترى رايس Reiss فإن العوامل النفسية والشخصية والاجتماعية تؤثر مباشرة في عملية التلقي.. ومثل النظريات الوظيفية الأخرى كنظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا Eugene Nida فإن أسّ المشكل كامن في كيفية قياس مدى تلقي المتلقي للرسالة ونسبته، وكما أن التلقي مرتبط بالعوامل النفسية للمتلقي، فإن تحليل عملية التلقي قد تكون مستحيلة ما لم يصدرعن هذا المتلقي أثروتفاعل مع الرسالة أو منها كي نتمكن من الحكم على نجاعة آليات النص في تحقيق فعل التواصل. وهو الحال مع قياس نجاعة الترجمة، فالحديث عن تكافؤ تلقي المتلقي للنص الهدف، وتلقي المتلقي لنص الترجمة أمر يتسم "نظريا" بالغرابة (Snell-Hornby, 1988, p 22) ما لم تتجاوز النظرية مستوى التلقي إلى مستوى تأكيد التلقي، وهو الأثر أو الفعل، سلوكا كان أو فعلا.

الاعتبار السادس: بين الفهم والإفهام، نظرية الفعل الترجمي تسلم بأن هدف النص هو نقل المعلومة:

"The process of translational action starts from a given text, which is understood and interpreted by the translator/interpreter. We can say that a text is a peice of information offered to a receipient by a text producer (how the information is offered depends on the circumstances, as we saw above). The translator puts together a target text which, being a text, also offers a piece of information to a reciepient. Thus, atranslatum may be

concidered a text offering information in a particular way about another offer of information". (18 م، س، ص)

"بعد أن يفهم المترجم أو المترجم الفوري نصا ما ويؤوله، تبدأ إذ ذاك عملية الفعل الترجمي. ويمكن القول بأن النص هو عبارة عن معلومة قدمها كاتب النص لقارئه، (وكما أسلفنا فإن الظروف هي من تحدد شكل المعلومة وكيفية تقديمها). ويشكل المترجم نص الهدف ليقدم بذلك معلومة للمتلقي وهو دور النص. لذا يمكن اعتبار الترجمة ***translatum*** عملية تقديم للمعلومة بطريقة معينة من خلال النص لعملية تقديم للمعلومة- في النص المصدر-".

إن إشكال الفهم هو الأمر الذي أرَّق العلماء وقضَّ مضجعهم، فاهتموا لذلك بتحديد آليات القول وسُبلها، حتى تُمكن من الفهم المرجو من هذا القول وحتى تتحقق فاعلية القراءة. فالفهم يسبق القول وجوديا وأهميةً ويربو عليه ويزيد. وفي هذا اشارة إلى الإشكال الفلسفي حول أهمية المدلول على الدال وأحقية الشيء على المشير إلى الشيء والدال عليه. وما يهمنا في هذا الأمر في ما يتعلق بالترجمة هو التفكير في الخطوات المنهجية المحكمة، والسبل التعبيرية المثلى، والأطر اللغوية الأنسب، لتحييز الفهم وتحديد المفهوم كي لا يضيع بين الكلمات أو ينسلت بين السياقات، حتى يحدث الأثر ويُوَلّد الفعل.

" As a specific kind of information offer, the translatum has certain culture-cepecific characteristics. (Offers of information can be subdivided further, e.g. aprimary informatin offer, such as the source text in a process of translation action, or other secondary information offer, such as the source text in a process of translational action, or ther secondary information offers, such as commentaries or reviews). According to modern concepts of T+I, the unique feature of a translatum is that it can be described as an offer of information which 'imitates' another offer of information…(18 م، س، ص)".

"وتتميز الترجمة في خصائصها الثقافية، بصفتها عملية فريدة لتقديم المعلومة. (وخلال تقديم المعلومة يمكن تقسيم العملية إلى أجزاء سفلى، ومثال ذلك تقديم المعلومة الأساسية في النص المصدر خلال فعل الترجمة، أو تقديم معلومات ثانوية في النص المصدر خلال عملية الفعل الترجمي، أو أي معلومات ثانوية يمكن إيرادها كتعاليق أو مراجعات وغيرها،..).

ووفق المفاهيم الحديثة للترجمة والترجمة الفورية، فإن الميزة الفريدة للترجمة تكمن في كونها عملية تقديم للمعلومة في محاكات لعملية أخرى لتقديم المعلومة"

ولكن ألا يعد ذلك بديهيا؟ فتقديم المعلومة، أو نفيها وغيرها من الأفعال المتعلقة بالمعلومة، هو هدف التواصل أساسا.. إلا أننا نتلمس هنا سمة أساسية في نظرية الفعل الترجمي لرايس Reiss وهو الأمر الذي تختلف فيه عن النظريات الوظيفية الأخرى، ويتمثل في نفيها للمكافئ الكلي كهدف أسمى للترجمة، فيتحرر المترجم من قيد النقل الكلي، إلى النقل الانتقائي وفق هدف يحدده سلفا قد يختلف عن هدف النص الأصلي. فما الانتقاء إلا نتيجة طبيعية لتغير الهدف.

وإذا قارنا ما ذهبت إليه رايس Reiss مع نظرية أخرى من نظريات المكافئ، نجد نيدا Nida يعبر عن التحرر من المكافئ الكلي المقيد بطريقة مختلفة، وهو ما اصطلح عليه بإعادة صياغة الرسالة، إلا أننا نجده لا يجرؤ على تغير هدف النص الأصلي، فلا ضرورة لذلك:

"Translating must aim primarily at "reproducing the message". To do anything else is essentially false to one's task as a translator. But to reproduce the message one must make a good many grammatical and lexical adjustments." (Nida E. A, Charles R.T: 1982, p 12)

تهدف الترجمة أساسا إلى "إعادة إنتاج الرسالة"، بل ويعد مخطئا كل من يروم غير ذلك هدفا لمهمة المترجم. بيد أن هذه العملية تُسلِّم نفسها لمسبار التعديلات النحوية والصرفية والمعجمية العديدة.."

إذا فمهمة المترجم الأولى والأخيرة حسب نيدا Nida فيما يخص المكافئ تكمن في إعادة

الكتابة أو إعادة الإنتاج والصياغة. متحررا بذلك من القيود الضابطة، التي تحصر مهمة المترجم في نقل المعنى وتغتم إن هو أخل بالشكل، بل و يكسر تلك المرآة الشفافة التي يعتبرها البعض مثالا على دور المترجم الذي ينقل بأمان وسلاسة منقطعة النظير ويغادر دون أن يترك أثرا على مروره، وهي الدليل على نجاح مهمته.

إذا، وفي ضوء تعريف رايس Reiss للمكافئ، الذي تبرر به الغاية من قصرها لمهمة المترجم ‹في نقل المعلومة›، نجد بأن هذه النقطة هي مكمن الاختلاف بين طبيعة النص الفكري وماهيته ونظرية أنماط النصوص، ومربط فرس الاتفاق بين نظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا Nida وماهية النص الفكري. فلو أسقطنا قوله السابق حول مهمة المترجم على معطيات النص الفكري فسنلتقي معه في هذه النقطة تحديدا، كما اختلفنا مع رايس Reiss، فطبيعة مولدات النص الفكري تأبى أن تذعن لمترجم يتراوح بين المعنى والشكل، أ إلى هذا، أم إلى ذاك؟ وترى بأن المترجم يجب أن ينبع من الأرض نفسها التي نبع منها المؤلف المفكر. يتتبع نسقه الفكري في كتاباته كلها عبر مسار الزمن فيجدها شكلا هندسيا متناسقا مع ذاته ومع مخرجاته وإن كان يقبل التحيين والتعديل، فما ذلك إلا جهد وإدراك بشر، لكنه مستنير دائما من قبس ما، سماويٍّ رباني، أو كونيٍّ بشري، فينغمس المترجم في ذلك النور أيضا، ينهل منه ويستنير، ويعرض نفسه للهيب الأزمة التي حركت الفكر أولا لدى المؤلف، فيكتوي بنارها، فيصيبه القلق المعرفي، بنفس ألوان هم المؤلف، وتتحرك إذ ذاك بذور الفعل لديه، فتنبت وتكبر، وتورق وتثمر ترجمة تحمل جينات نسق المؤلف الأول. ولن يتمكن المترجم من رؤية ألوان الطيف في عمل المفكر ما لم يمر عبر هذا النفق ليخرج في عوالم المؤلف فيسبح في أفلاكه، وفي هذه الحال فقط يمكننا الحديث عن إعادة للصياغة. أما أن يكون المترجم مصابا بعمى الألوان، فهو لا يبصر غير أبيض اللفظ وأسود المعنى ثم يدعي إعادة الصياغة، بمزيج كيميائي غريب من عنصرين أبيض وأسود، فإنه سينتج مزيجا غير متجانس لا يمت إلى الأصل بصلة، ولا يحمل ألوانه. ولنا في محمد عناني في ترجمته لفكر إدوارد سعيد ومحمد يوسف عدس في ترجمته لعلي عزت بيغوفيتش وعبد الصبور شاهين في ترجمته لفكر مالك بن نبي، وكثير غيرهم من

المترجمين، الدليل والقدوة والمثل في ما يجب أن تكون عليه علاقة المترجم بنص المفكر.

خاتمة

نصل في النهاية إلى الاستنتاج بأن هذه النظرية تقترب من النص الفكري وخصائصه في نقاط عديدة، منها اعتبار القصد وفعل التواصل، والفهم والافهام والتركيز على فعل التلقي، ودراسة سلوك المترجم كأسس لأي هندسة نظرية للفعل الترجمي، وكاعتبارات أساسية لنظرية أنواع النصوص. إلا أننا لا نجد من بين أنماطها نمطا يلم بكافة إحداثيات النص الفكري، وقد اتضح ذلك من خلال الدراسة.

ونخرج من هذه الورقة بالنتائج الآتية:

1- تقترب نظرية أنماط النصوص في هندستها النظرية من الهندسة البديعة للنص الفكري والفكر والمفكر. بل وتستجيب للعديد من المعطيات الدقيقة لبناء هذا النص، وتختلف عنه في نقاط نورد منها على سبيل المثال لا الحصر:

- نجد النص الفكري يتجاوز التفكيك النمطي الذي اقترحته رايس Reiss لتصنيف النصوص، ونجده بدلا من ذلك يجمع بينهم جميعا باعتبار النمطين الأولين «تبسيط الحقائق والتأليف الإبداعي» وسيلتين لتحقيق هدف النص الفكري المتمثل في النمط الثالث وهو تحقيق الاستجابة السلوكية والفعلية.

- ونجد أن مفهوم رايس Reiss للمكافئ والذي تبرر به النقل الانتقائي وفق هدف يحدده المترجم سلفا قد يختلف عن هدف النص الأصلي، لا يخدم طبيعة النص الفكري ووظيفيته.

2- ونجد بأن هذه النظرية قد ساهمت بشكل كبير في الدراسات الترجمية بشكل إيجابي، وأبدعت لما صنفت النصوص وفق وظائفها.

3- تخدم هذه النظرية بشكل أساسي تعلمية الترجمة وبرامج تدريب المترجمين.

4- يمكن تطبيق قواعد هذه النظرية على نصوص مختلفة. وأما فيما يخص النص الفكري، فيمكن التفكير في مقاربة ترجمية أشمل وأكثر تفسيرية لخصائص هذا النص.

5- على مترجم النصوص الفكرية أن يندرج ضمن الهيكل المعرفي للمؤلف وتحت سقف

نسقه المعرفي، وأن يلم بهندسته وبنائه إلماما واسعا كَيْما يتمكن من تحقيق الأثر والفعل المرجو من نصه..

6- تشكل هذه الدراسة دعوة لمراجعة المفاهيم الفلسفية الأساسية، التي تدخل في تركيب مفهوم الترجمة. وهي دعوة للاستمرار في البحث في ميدان ترجمة النص الفكري في شكليه النظري والتطبيقي.

7- وهي دعوة للجامعات ومعاهد التكوين في الترجمة إلى بناء برامج تكوينية في ميدان ترجمة النصوص الفكرية، لما للمجتمع من حاجة ماسة لها.

قائمة المصادروالمراجع

باللغة العربية:

- ابن منظور. (2007). *لسان العرب*. (ج5). مصر: دار المعارف.
- آفِشَر، لِك. (2008). *التفكير الناق*. ياسر العيتي (مترجم). السيد للنشر.
- بيغوفيتش، علي عزت. (2015). الإسلام بين الشرق والغرب. محمد يوسف عدس (مترجم). دار الشروق.
- جهاد، جمال محمد. (2004). *مهارات التفكير الإبداعي*. الامارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي.
- حمزة المزيني. (2016). كتاب الاستشراق" لإدوارد سعيد: ملحوظات أوليّة على ترجمتَي د. كمال أبو ديب ود. محمد عناني. *مجلة الرياض*، ع 17470. تم الاسترداد من https:// www.alriyadh.com/1149426
- الدجاني، بسمة، فاطمة العمري (2011). أحمد صدقي الدجاني: نموذج لمفكروأديب عرب. *مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية*، مج 25(6).
- روث، ليزا. (2014). *"نظرية الهدف هانس فيرميروكاتارينا رايس*. مؤنس مفتاح (مترجم). جريدة تباين، ع (7/6).
- الشميمري، فهد بن عبد الرحمن. (1970). *التربية الإعلامية، (كيف نتعامل مع الإعلام؟)*. السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الطالب، هايل (2017). من نحو الجملة إلى نحو النص المفهوم والتطبيق.*مجلة جامعة البعث*،ع 12 (39).
- عبد الحق عبد العزيزي. (2015). نظرية أنواع النصوص لكثارينا ريس. الجزائر: جامعة الجزائر02.
- قسوم، عبد الرزاق. (1997). *مدارس الفكر العربي الإسلامي (تأملات في المنطق والمصب)*. السعودية: دار عالم الكتب العربية السعودية.
- محمد عناني. (2011). *نظريات الترجمة الحديثة*. مصر: الشركة المصرية العالمية

للنشر-لونجمان-.

- المسيري، عبد الوهاب. (2002). *كتاب اللغة و المجاز بين التوحيد ووحدة الوجود*. القاهرة: دار الشروق.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. (1990). *التوقيف على مهمات التّعاريف*. عالم الكتب 38. القاهرة .
- نصيرة،، بن الطيب. (2016). *الترجمة ونظرية أنواع النصوص أطروحة دكتوراه غير منشورة*. جامعة وهران: معهد الترجمة، الجزائر.

- باللغة الأجنبية:

- Edward, S. (1994). *Representations of the Intellectual: The 1993 Reith Lectures.* Vintage: London.
- Gonzalez, G. (2003). *L'équivalence en traduction juridique: Analyse des traductions au sein de l'Accord de libre-échange Nord-Américain (ALENA).* (Doctoral dissertation, Université Laval).
- Jervolino, D. (2006). Pour une philosophie de la traduction, à l'école de Ricœur. *Revue de métaphysique et de morale,* (2), 229-238.
- Makdisi, S., Sökmen, M. G., & Ertür, B. (2007). Edward Said and the style of the public intellectual. Edward Said: *The Legacy of a Public Intellectual*, 21-35.
- Malek, B. (2008). *Le phénomène coranique, Essai d'une théorie sur le Coran.* Alger: El Borhane.
- Michel, F. (1976). *La fonction politique de l'intellectuel', Dits et écrits III.* Paris: Gallimard.

- Nida E. A, Charles R.T. (1982). *The Theory and Practice of Translation E. J. BRILL. Leiden.* Pays Bas.
- Reiss, K. (2000). *Translation Criticism*: The Potentials and Limitations, Erroll, F .(trans). Rhodes. Manchester: St. Jerome.
- Reiss, K., & Vermeer, H. J. (2014). *Towards a general theory of translational action: Skopos theory explained.* Christian Nord (Translator) London: Routledge.
- Schleiermacher, F., & Lefevere, A. (1992). *Translation/History/Culture: A source book.* London and New Yor: Routledge.
- Sirinelli, J. F. (1998). *Les intellectuels français et la guerre d'Algérie: une nouvelle affaire Dreyfus in La potérité de l'Affaire Dreyfus: dis études réunies par Michel Leymarie, Villeneuve d'Ascq (Nord).* Paris: Presses Universitaire du Septentrion.
- Snell-Hornby, M. (1988). Translation studies: *An integrated approach.* John Benjamins Publishing